

العدل والإحسان في الإسلام دراسة دعوية

إعداد

د. زينب عبد الله الراجحي

الأستاذ المساعد في المعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المملكة العربية السعودية

الرياض

من ٢٤٩ إلى ٣٠٨

५०.



العدل والإحسان في الإسلام دراسة دعوية

زينب عبد الله الراجحي

المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،
المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: dr.za.alrajhi@gmail.com

المخلص :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فهذا البحث بعنوان (العدل والإحسان في الإسلام - دراسة دعوية) الهدف الرئيس منه بيان وتوضيح أهمية الدعوة إلى العدل والإحسان بين الناس مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم وعقائدهم، وما لهما من أهمية بالغة في استقرار المجتمعات ، وإشاعة روح المحبة والتكاتف بين أفرادها ، وبيئت حرص الإسلام على هاتين القيمتين من خلال استقراء نصوص الوحيين الكتاب والسنة، ومن أهم النتائج التي توصلت لها : أن الحياة لا تستقيم إلا من خلال تحقيق العدل والإحسان بين أفراد المجتمعات، وأنهما يدخلان في كل مجالات الحياة ، ومن النتائج ضرورة الدعوة إليهما استجابة لأمر الله ﷻ .

الكلمات المفتاحية: العدل ، الإحسان ، الدعوة ، القسط ، الفضل .

Justice and Charity in Islam - A Study of Prayer

Zainab Abdullah Al-Rajhi

**the Higher Institute for Call and Accounting· Imam
Muhammad Bin Saud Islamic University, Saudi Arabia.**

Email:dr.za.alrajhi@gmail.com

Abstract:

**Thank God, peace and prayer sought by the Messenger of God, this research is entitled "Justice and Charity in Islam - A Study of Prayer" whose main objective is to explain the importance of calling for justice and charity among people, regardless of their religions, creeds and beliefs, and their great importance in the stability of societies, and Spreading the spirit of love and solidarity among its members, and showed islam's keenness on these two values by extrapolating the texts of the revelations of the Book and sunnah, and one of the most important results I have reached: that life is not upright except through the achievement of justice and charity among the members of the communities, and that they enter all areas of life, and from The consequences are the need to call them in response to Allah's command.
keyword: justice, charity, da'wa, installment, credit.**

مَثَلَاتُ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الناصح الأمين نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد فإن الله ﷻ أنزل الشريعة الإسلامية السمحة وفيها من المبادئ والقيم التي يتوقف عليها صلاح الأفراد والمجتمعات واستقامتها، وتعينهم على الاستقرار والطمأنينة في حياتهم ، فحثهم على التعامل فيما بينهم بالعدل والإحسان، والتعايش بالألفة والمحبة لتحقيق جودة الحياة وتعزيزها ، وهذا يتأتى من بذل المعروف بالقول والفعل لكل أحد ، وهذه منزلة عظيمة ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

كما أكد سبحانه على الإحسان بالقول والفعل في أكثر من موضع فقال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۗ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

كما أمر ﷻ إلى الإحسان إلى الوالدين وقرنه بعبوديته خاصة عند كبرهما فهما في أشد الحاجة إلى الرحمة والشفقة والإحسان والدعاء ، فقال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ

(١) سورة النحل ، الآية (٩٠) .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية (٨٣) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٥٣) .

(٤) سورة البقرة / جزء من الآية (١٩٥)

الْكِبَرِ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ وَلَا تَهَرَّهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا
 كَرِيمًا ﴿٣٦﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
 رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿١﴾ ، كما حث ﷺ على الإحسان إلى ذوي القربى واليتامى
 والمساكين وكذلك الجار فقال تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ
 الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 مَنْ كَانَ مُجْتَلًا فُجُورًا ﴾ (٢) .

فهذه التوجيهات الربانية التي تحمل بين طياتها توجيهات أخلاقية تحت على
 العدل والإحسان مع الناس تحقق مقاصد الشريعة من جلب المصالح ودفع
 المفاسد ، وبها ترقى الشعوب والأمم .
أهمية الدراسة :

تنبع أهمية الدعوة إلى العدل والإحسان من خلال الأمر الإلهي بالتزامهما ،
 فالعدل من أهم القيم في الإسلام ويتبعه الإحسان، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) فقد أرسل الله ﷺ رسله ، وأنزل
 كتبه فيها ميزان العدل ؛ ليقوم الناس بالقسط ، فيأخذوا حقاً ويعطوا حقاً ، فقال

(١) سورة الإسراء ، الآية (٢٤) .

(٢) سورة النساء ، الآية (٣٦) .

(٣) سورة النحل ، الآية (٩٠) .

تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ
النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (١)

والمتأمل في هذه الآية الكريمة الجامعة يجد أن الله تعالى ابتدأها بالتأكيد
على الأمر بالعدل ، والحث عليه، ثم أتبعه بالإحسان ، وهو الإتقان وجودة
العمل، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢) فكان من الأهمية بمكان أن نبين هذا الأمر
العظيم من جميع جوانبه ، العقدية والتعبدية والأخلاقية، وآثاره العظيمة على
الفرد والأسرة والمجتمع وأثره في بقاء هذه الأمة آمنة مطمئنة .

فشريعة الإسلام كلها عدل وإحسان قال تعالى : { وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا
وَعَدْلًا ۗ لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٣) ذكر الحافظ ابن كثير -
رحمه الله في تفسيره هذه الآية : (قال قتادة:-رحمه الله- : صادقاً فيما قال ،
وعدلاً فيما حكم ، يقول صادقاً في الأخبار ، وعدلاً في الطلب ، فكل ما أخبر
به فحق لا مرية فيه ولا شك ، وكل ما أمر به فهو العدل الذي لا عدل سواه ،
وكل ما نهى عنه فباطل؛ فإنه لا ينهى إلا عن مفسدة كما قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
﴾ (٤) إلى آخر الآية) (١) ومن إحسان الله تعالى لعباده بأن أحل لهم
الطيبات ، فكل شيء طيب فهو حلال لهم ، وكل خبيث حرمه عليهم .

(١) سورة الحديد ، الآية (٢٥)

(٢) سورة الملك ، الآية (٢) .

(٣) سورة الأنعام ، الآية (١١٥) .

(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٥٧) .

أهداف البحث:

- ١- بيان مفهوم العدل و الإحسان، وأهميتهما في الدين الإسلامي .
- ٢- التأكيد على العدل و الإحسان إلى الخلق .
- ٣- بيان دعوة الشريعة الإسلامية إلى العدل والإحسان من خلال المجالات المختلفة .
- ٤- بيان ثمار الدعوة إلى العدل و الإحسان و المفسد المترتبة على تركهما .

الدراسات السابقة :

بعد البحث في عناوين الأبحاث لم أجد دراسة علمية تناولت العدل والإحسان من جانب تفصيلي دعوي ، لكن هناك بعض الدراسات التي أشارت إلى العدل والإحسان في الإسلام بصورة عامة ومن هذه الدراسات:

- (١) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية رسالة دكتوراه ، أحمد بن سعد بن أحمد الغامدي ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٢هـ.
- (٢) العدل في القرآن دراسة موضوعية - مجلة العلوم الإسلامية الجامعة العراقية، العدد الثامن ١٤٣٢هـ

منهج البحث:

سوف أقوم -بإذن الله تعالى- باستخدام المنهج الاستقرائي لجمع الآيات الكريمة التي تحت على العدل والإحسان ، واستقراء أقوال المفسرين فيها ، وكذلك جمع الأحاديث النبوية الشريفة واستقراء أقوال شُراح الحديث . كما إنني سوف أستخدم المنهج الاستدلالي ؛ وذلك لأن هذه الدراسة تأصيلية، فيتعين الاستدلال بالكتاب والسنة، وعرض ما طبقه الصحابة الكرام ﷺ والتابعون لهم بإحسان .

(١) تفسير الحافظ ابن كثير-رحمه الله- ٢٧١/٤ .

خطة الدراسة :

انتظمت خطة الدراسة على تمهيد و ثلاثة مباحث :

التمهيد يشمل :

١- مفهوم العدل و الإحسان .

٢- أهمية العدل والإحسان في الشريعة الإسلامية وحاجة البشرية إليه.

المبحث الأول : الدعوة إلى العدل والإحسان ، من خلال نصوص الكتاب والسنة .

المبحث الثاني : دعوة الشريعة الإسلامية إلى العدل والإحسان من خلال المجالات المختلفة .

المبحث الثالث : ثمار الدعوة إلى العدل والإحسان .

الخاتمة وتحتوي على :

- أهم النتائج والتوصيات .

_ أهم المصادر المراجع .

التمهيد

خلق الله ﷻ الخلق وهو أعلم بما يُصلح أحوالهم في معاشهم ومعادهم ، فشرع العدل ، والإحسان وأمر بهما وبالعدوة إليهما ، فالعدل هو أساس صلاح البشر ، والناس اليوم أحوج ما تكون إلى العدل الذي أقامه الإسلام ، وشرعه على الأرض ، ليُصحح مسار البشرية قاطبة ، وليعم الاستقرار والأمان الذي يُعد من أهم الضروريات في حياة الناس ، كما حث على الإحسان بالقول والفعل في العبادات والمعاملات وسائر شؤون الحياة .

وسأتحدث في هذا التمهيد عن مفهوم العدل والإحسان وأهميتهما في الشريعة الإسلامية .

أولاً : مفهوم العدل في اللغة والاصطلاح

تعريف العدل في اللغة : وهو ضدُّ الجور، والعدل : هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وهو في الأصل مصدر . والعدالة: وُصِفَ بالمصدر، معناه ذو عدل ، وقال في موضعين: "وأشهدوا ذَوِي عَدْلٍ منكم"، وقال: "يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ منكم" ^(١) وقيل: هي الاستقامة . ^(٢)

واصطلاحاً: العدل هو: (أن تعطي من نفسك الواجب وتأخذه) ^(٣) وقيل هو: الاستقامة على طريق الحق والبعد عما هو محظور ديناً ، وهو الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط، وفي اصطلاح الفقهاء: من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر، وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة،

(١) انظر لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : عدل ، ٤٣٠/١١ . وانظر : الصحاح في

اللغة ، الجوهري ، ١٧٦٠/٥ ، القاموس المحيط للفيروزآبادي ، ص ١٠٣٠ .

(٢) الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية أبي البقاء الكفوي ، ص ١٥٠ .

(٣) الأخلاق والسير ، ابن حزم ، ص ٨١ .

كالأكل في الطريق والبول، وقيل: العدل، مصدر بمعنى: العدالة، وهو الاعتدال والاستقامة، وهو الميل إلى الحق. (١)

(ومعنى العدل من تعادل أحواله في دينه وأفعاله). (٢)

من خلال ما سبق من تعريفات ؛ نجد أن مفهوم العدل واسع يشمل جميع مناحي الحياة ، فعدل الإنسان مع نفسه ومع ربه ﷻ ، ومع نبيه ﷺ ، وسائر من يتعامل معه .

ثانياً: مفهوم الإحسان في اللغة والاصطلاح

الإحسان لغة : مصدر أحسن ، والإحسان نقيض لإساءة ، يُقال: رجل محسن ومحسان : أي جاء بفعل حسن ، وكثير الإحسان (٣)

وإصطلاحاً : من التعريفات التي ذكرها بعض العلماء عن الإحسان :

(الإحسان مقابلة الخير بأكثر منه ، والشر بالترك أو بأقل منه) (٤)

(الإحسان : هو العبادات والأعمال التي يتقرب بها المسلم إلى الله تبارك وتعالى من النوافل التي لم يفرضها الله على المسلم؛ فاعتبر العلماء أن التزام النوافل يُعتبر من الإحسان) (٥).

وهو : (بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسن إليهم، وحقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه،

(١) التعريفات للجرجاني ، ص ١٤٧.

(٢) المغني ، ابن قدامة-رحمه الله- ١٠/١٤٨ .

(٣) انظر : الفروق اللغوية ، للعسكري ، ١/١٩٣ ، وانظر لسان العرب ابن منظور ،

(٤) فتح الباري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ١٠/٤٨٠ .

(٥) جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير، أبو جعفر الطبري ، [ط ١ ،

السعودية: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ٨/٦٦٥ .

وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك^(١)

و من خلال معرفة أنواعه ، فقد ذكر الشيخ السعدي -رحمه الله - أنواع الإحسان فقال : (إحسان في عبادة الخالق، بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح، والتكميل لها ، وإحسان في حقوق الخلق أن تقوم بحقوقهم الواجبة)^٢ ومن خلال ما سبق يتبين بأن الإحسان : جامع لكل قول حسن ، وكل فعل حسن ، بأن يتقن العمل ويسعى أن يكون كاملاً من جميع جوانبه ، ويزيد عليه البذل وحسن الأخلاق و وإيثار الآخرين وغيرها من محاسن الخلاق .

ثالثاً : أهمية العدل والإحسان في الشريعة الإسلامية

تظهر أهمية العدل في الإسلام من شرف منزلته عند الله تعالى، ومكانة من يتصف به من الناس ، كما ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه- قال رسول الله ﷺ " إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَىٰ مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمْنَا يَدَيْهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَعْدُلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا " (٣) فهذه المكانة العظيمة، والمنزلة الرفيعة لجمع من يتولى أمراً ويعدل في حكمه وفي أهله وكل من هو مسؤول عنه ، قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرح هذا الحديث : (أن هذا الفضل إنما هو لمن عدل فيما

^١ (بهجة قلوب الأبرار ، وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، الشيخ عبد الرحمن

بن سعدي ، ط٤ [الرياض : وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ، ١٤٢٣هـ] ١/٢٢٨ .

^٢ (مرجع سابق ، ١/١٢٧ .

^٣ (صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، برقم

١٨٢٧/٣ ، ٤٥٨/٣ .

تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم أو صدقة أو وقف ، وفيما يلزمه من حقوق أهله وعياله ونحو ذلك)^(١).

إن الناس على اختلاف أوضاعهم وثقافتهم في حاجة ماسة للشعور بعظم جناب العدل وإقامته ، والواجب على الأفراد والجماعات إقامة فيما بينهم ، والدعوة إليه ، والتواصي به ، فهو قوام الحياة ، ومن حق كل فرد أن يحصل عليه من غير مشقة ، ولا يمكن التهاون والتساهل بالعدل ؛ لأن هذا يؤدي إلى ظلم الناس الذي حرمه الله تعالى على نفسه وعلى عباده ، ففي الحديث القدسي " يا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا .. الحديث " ^(٢)

وقد توعد الله ﷻ من يحيف عن العدل ويتبع هواه بالعذاب الشديد فقال تعالى: ﴿ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ ^(٣) فالآية تنبه وتحذر بأن الحكم الجائر واتباع الهوى إنما هو ضلال عن سبيل الله تعالى ، ثم اعقب سبحانه وتعالى هذا ببيان الجزاء المترتب عليه وهو العذاب الشديد .

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٢/٢١٢ .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب : تحريم الظلم ، برقم ٢٥٧٧ ، ٤/٩٩٤ .

(٣) سورة ص ، الآية (٢٦) .

كذلك حذرنا رسول الله ﷺ من أن نحيد عن العدل حتى مع أقرب الناس؛ فقال ﷺ في شأن المخزومية التي سرقت " وَأَيْمُ اللَّهِ : لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " (١)

ومن هذا المنطلق فإن البشرية بحاجة إلى العدل ، وأداء الحقوق العامة والخاصة ، ففعل الرسول ﷺ يدل على العدل المطلق الذي لا يحابي أحداً مهما كانت قرابته ، فلا يفرق بين قريب وبعيد أو بين جنس و جنس، أو لون ولون، كما لا يفرق بين عدو و صديق، فتحقيق العدل بين الناس هو المفروض، وهو الذي أمرنا به الشارع الحكيم .

إن إلزام الشريعة الإسلامية الناس بإقامة العدل بينهم ، ودعوتهم إليه ، واجتناب الظلم والنهي عنه ؛ ذلك من أجل تنظيم حياتهم واستقرارها؛ فالإنسان لا يمكن أن يعيش منفرداً لا يُخالط أحداً ولا يتعامل مع أحدٍ، بل هو كائن اجتماعي، فطره الله تعالى على ذلك، ومصالحه قائمة بعلاقاته مع الجماعة ، والبيئة المحيطة به ، وتزيد الحاجة لتوثيق هذه العلاقات كلما زادت مطالب الفرد في معيشتة، فتكثر معاملاته وعلاقاته بالآخرين ، ومن هنا يتبين السلوك ، وتظهر الأخلاقيات ، فمنهم من يطغى هواه على شرع الله تعالى فينساق خلف أطماعه ويأخذ ما ليس له حق فيه ، أو قد يحابي قريباً فيعطيه مالا يستحق من مال أو منصب أو غير ذلك ، أو قد يقول ويشهد زوراً ، وغير هذا من أنواع أخذ الحقوق بغير وجه حق . (٢)

لذا كان الناس بحاجة إلى العدل في كل صورته وأشكاله ، العدل بالقول ، والعدل بالفعل، فوضع الله ﷻ -وهو العليم بشؤون البشر- نظاماً وتشريعاً

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه ،من حديث أم المؤمنين عائشة ؓ ، برقم / ٣٤٧٥ ، ٤/ ١٧٥ .

(٢) انظر: نظم الأمن والعدالة في الإسلام ، د. محمد الحسيني عبد العزيز ، ص ١٢٣ .

يأمر ويدعو الناس إلى العدل وينهاهم عن الظلم؛ لينظم أحوالهم، ويحفظ حقوقهم، ويجمع كلمتهم، و ينشر الأمن والاستقرار فيما بينهم .

كما جعل الله ﷻ من أساسيات دعوة نبيه ﷺ إقامة العدل في الحكم بين الناس، وقد أمره تعالى بهذا في قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرٌ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (١)

نفي الآية يأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالعدل بين الناس جميعًا ، مهما اختلفت دياناتهم وعشائهم، قال الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسيره للآية :

(أي: في الحكم فيما اختلفتم فيه، فلا تمنعني عداوتكم وبغضكم، يا أهل الكتاب من العدل بينكم، ومن العدل في الحكم، بين أهل الأقوال المختلفة، من أهل الكتاب وغيرهم، أن يقبل ما معهم من الحق، ويرد ما معهم من الباطل) (٢)

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (فإن الله سبحانه أرسل رسله، وأنزل

كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات ، فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله، ودينه، والله

سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينفي ما هو أظهر منها، وأقوى دلالة وأبين أمانة فلا يجعله منها. ولا يحكم عند

وجودها وقيامها بموجبها، بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده، وقيام الناس بالقسط فأى طريق استخرج بها

العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له) (٣)

إن اقتران الإحسان بالعدل له من الدلالات العظيمة التي يجب أن يفهمها المسلم ، فتظهر هذه الدلالات واضحة جلية في كثير من الآيات التي أمر الله

بها بالإحسان إلى الناس، وفي مقدمتهم الوالدين والأقربون واليتامى والجار

(١) سورة الشورى ، جزء من الآية (١٥) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٧٥٥ .

(٣) الطرق الحكيمة ، ص ١٣ .

،وفي كل شيء كما ورد في الحديث: "إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ،
فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا دَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَةَ. وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ،
وَلْيُرِخْ دَبِيحَتَهُ" (١).

كما رغب ﷺ بالإحسان في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢) فكل ما
يحببه الله تعالى يجب أن نعمله ونحرص عليه ، لذا نجد الإسلام يوصي كل
مسلم بالإحسان وذلك من خلال النصوص الشرعية .

(١) رواه الإمام مسلم -رحمه الله -في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح ، باب : الأمر
بإحسان الذبح والقتل ، برقم / ١٩٥٥ ، ٣ / ٥٤٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٤

المبحث الأول:

الدعوة إلى العدل والإحسان في الكتاب والسنة

إن الدعوة إلى العدل والأمر به أوجبته الله تعالى من فوق سبع سموات قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (١).

وسأبين في هذا المبحث الذي يُعد صلب البحث وموضوعه، حرص الإسلام على الدعوة إلى العدل والإحسان وإقامتهما بين الناس ، ودعوتهم بتطبيقهما في جميع مجالات حياتهم المختلفة ، وذلك من خلال المطالب التالية :

المطلب الأول : الدعوة إلى العدل في الكتاب والسنة

أولاً : الدعوة إلى العدل في القرآن الكريم :

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تأمر بالعدل وتحث عليه ، وتنهى عن الظلم وتحذر منه، فمن أجمع الآيات التي تأمر وتدعو إلى العدل : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢). وهذه الآية من أمهات الآيات ، قال قتادة رضي الله عنه : (ليس من خلق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به في هذه الآية ، وما من خلق سيء كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدح فيه في هذه الآية) . (٣)

(١) سورة النساء، الآية (٥٨) .

(٢) سورة النحل . الآية (٩٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، الحافظ ابن كثير - رحمه الله - ، ٥٩٦/٤ .

و قرأ الحسن البصري - رحمه الله - الآية ثم وقف وقال : (إنَّ الله جمع لكم الخير كلُّه والشرُّ كلُّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئاً من طاعة الله عزَّ وجلَّ إلاَّ جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغى من معصية الله شيئاً إلاَّ جمعه) حلية الأولياء لأبي نعيم

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾. (١) الآية اعتبرها العلماء من أمهات الأحكام ؛ حيث تضمنت جميع الدين والشرع . (٢)

فأداء الأمانة وإعطاء الحقوق لأصحابها هو العدل الذي أمر الله به ، وإنكارها وعدم تأديتها هو الظلم الذي نهانا الله عنه ، ومن الأمانة الحكم بما أنزل الله تعالى والعدل بين الناس وعدم ظلمهم .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُونًا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنَّ يَكُفُّ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۗ فَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا ۗ وَإِنْ تَلَوْتُمْ أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾. (٣)

قال ابن عباس ؓ (كونوا قوامين بالعدل في الشهادة على من كانت له). (٤)

(١) سورة النساء ، الآية (٥٧) .

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ، الإمام القرطبي - رحمه الله - ٢٥٥/٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٣٥) .

(٤) معالم التنزيل ، للإمام البغوي - رحمه الله - ٢٠٨/١ .

وقوله تعالى : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (١)

قال قتادة - رحمه الله - في قوله ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ ﴾ قال : (أمر نبي الله ﷺ أن يعدل ، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه ، والعدل ميزان الله في الأرض ، به يأخذ للمظلوم من الظالم ، وللضعيف من الشديد ، وبالعدل يصدق الله الصادق ، ويكذب الكاذب ، وبالعدل يرد المعتدي ويوبخه .) (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ (٣)

قال الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسيره : ﴿ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ وبالحق يعطون ويأخذون ، وينصفون من أنفسهم فلا يجورون .

وقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) قوله تعالى : ﴿ وَكُنْتُمْ عَلَيَّمْ فِيمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْوَحْيِ وَالنَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾

(١) سورة الشورى ، الآية (١٥)

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الإمام الطبري - رحمه الله - ٥١٧/٢١ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٥٩) .

(٤) سورة النحل ، الآية (٧٦) .

وَمَنْ لَّمْ يَتَّخِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى : ﴿وَأَنْ
عَاقِبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۗ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿٢﴾
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ فهذه الآيات جميعها تدعو و تأمر وتحت على العدل والإحسان
إما ظاهراً بألفاظ العدل ، أو معنىً بما تضمنته الآيات وذلك في كل شأن من
شؤون الحياة .

كما جاء النهي والتحذير عن الظلم وهو نقيض العدل في آيات كثيرة منها :
قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ ۗ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۗ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿٥﴾
فعندما يظلمون أنفسهم بكفرهم وشركهم بالله تعالى، فإن الله تعالى يعاقبهم
جزاء ما اقترفته أيديهم، وقد نزه الله تعالى نفسه عن الظلم فقال تعالى : ﴿ وَمَا
اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾ ﴿٦﴾ وقوله تعالى : ﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ وَمَا أَنَا

(١) سورة المائدة ، الآية (٤٥) .

(٢) سورة النحل ، الآية (١٢٦) .

(٣) سورة الشورى، الآية (٤٠) .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٤٢) .

(٥) سورة هود ، الآية (١٠٢) .

(٦) سورة غافر ، الآية (٣١) .

بِظُلْمٍ لِّلْعَبِيدِ^(١) وهكذا حذر الله تعالى من الظلم ، وهو نذير شؤم للأمة الظالمة ، فقد يأخذهم الله ﷻ على حين غفلة منهم ، ويصيبهم بعذاب من عنده نتيجة ما اقترفت بها أيديهم من ظلمهم أنفسهم أو ظلمهم للناس .

ثانياً: الدعوة إلى العدل من السنة النبوية الشريفة :

وردت أحاديث كثيرة في الأمر بالعدل، والدعوة إليه ، والترغيب فيه، والأجر العظيم لمن التزمه وطبقه ومن هذه الأحاديث الشريفة :

حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ : " إِنَّ الْمُقْسَطِينَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنِ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وُلُوا " (٢) .

قال الإمام النووي-رحمه الله- (والمقسطون هم العادلون) (٣) .

في ها الحديث النبوي الشريف يتبين عِظَم الأجر والمنزلة الرفيعة لمن يعدل في حكمه بين الناس ، وفي أهله ، وكل ما وُلِّي عليه .

١- حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: " بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، فِي عُسْرِنَا وَيُسْرِنَا ، وَمَنْشَطِنَا وَمَكَارِهِنَا ، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْعَدْلِ أَيْنَ كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ " (٤) .

(١) سورة ق ، الآية (٢٩) .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، برقم/ ١٨٢٧ ، ٣/ ٤٥٨ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ٢١١/١٢ .

(٤) رواه الإمام النسائي-رحمه الله- في سننه ، كتاب البيعة ، البيعة على القول بالعدل ، برقم / ٤١٥٣ ، ٧/ ١٣٩ ، وصححه الألباني-رحمه الله- في صحيح وضعيف النسائي ، ٢٢٥/٩ .

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "سَبْعَةٌ يُظَلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا، حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" (١) .

قال الإمام ابن رجب -رحمه الله- : (وأول هذه السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن، وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصبره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإنَّ الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين، وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها، وقد روي أنه ظلَّ الله في الأرض؛ لأنَّ الخلق كلُّهم يستظلون بظله، فإذا عدل فيهم أظله الله في ظله) (٢) .

وهذا قول نفيس من الإمام ابن رجب -رحمه الله- - فالجزاء من جنس العمل ، فعندما يعدل الحاكم بين الناس ، ويقيم العدل وفق ما شرعه الله تعالى، فيظلَّ الناس بعدله فإن الله تعالى سيجعله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله .

(١) رواه الإمام البخاري-رحمه الله- في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة باليمين ، برقم / ١٤٢٣ ، ١١/٢ ، والإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، برقم/ ١٠٣١ ، ٧١٥/٢ .

(٢) فتح الباري ، ٤٦/٦ .

المطلب الثاني: الدعوة إلى الإحسان في الكتاب والسنة

أولاً : الدعوة إلى الإحسان في القرآن الكريم :

حث الله ﷻ على الإحسان في أكثر من موضع في كتابه الكريم ، فقال ﷻ :
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

كما أمر الله تعالى بالإحسان ، وجعله سبيلاً إلى محبته فقال تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
 ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٣) قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-
 (أي كلموهم طيباً، ولينوا لهم جانباً) (٤) ، فطيب الكلام واللين والرفق في القول
 من الإحسان إلى الناس .

وقد رغب الله تعالى بالإحسان ووعد المحسنين بالأجر العظيم فقال تعالى : ﴿
 لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۗ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَنَّةِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥)

وسياتي الحديث بالتفصيل في ثنايا هذا البحث .

(١) سورة النحل . الآية (٩٠) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٩٥)

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية (٨٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ٢٠٩/١ .

(٥) سورة يونس ، الآية (٢٦) .

ثانياً : الدعوة إلى الإحسان في السنة النبوية :

وردت أحاديث كثيرة في الإحسان في العبادات و المعاملات ، وقد بين الرسول ﷺ للرجل الذي سأله عن الإحسان فقال : " الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ " (١) وقال ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ. وَلْيُجِدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ " (٢) ورغب رسول الله ﷺ في الإحسان فقال : " مَنْ أَحْسَنَ فِي الإِسْلَامِ لَمْ يُؤَاخِذْ بِمَا عَمِلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَنْ أَسَاءَ فِي الإِسْلَامِ أُخِذَ بِالأَوَّلِ وَالأَخِرِ " (٣)

وسأفصل القول في الأحاديث في المبحث الثالث .

المبحث الثالث : الدعوة إلى العدل والإحسان من خلال المجالات المختلفة

يُعد العدل والإحسان من أهم موضوعات الدعوة ، بل لا تستقيم الحياة بدونهما ، وفي مجالات عديدة ومتنوعة ومتفرعة، تدخل في جميع مناحي الحياة المختلفة وسأتحدث عن الدعوة إلى العدل والإحسان من خلال هذه المجالات وفق نصوص الوحيين :

المطلب الأول: الدعوة إلى العدل والإحسان في المجال العقدي والتعدي:

(١) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله (إن الله عنده علم الساعة) ، برقم / ٤٧٧٧ ، ١٥١/٦ .

(٢) رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب الصيد والذبائح ، باب : الأمر بإحسان الذبح والقتل ، برقم / ١٩٥٥ ، ٥٤٨ / ٣ .

(٣) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب :استنابة المرتدين والمعاندين ، باب : إثم من اشرك بالله ، برقم / ٦٩٢١ ، ١٤/٩ .

إن تحقيق العدل والإحسان في المجال العقدي والتعبدية له أثر كبير في حياة الأمم ، لذا كان من الضرورة إيضاح الدعوة إلى العدل والإحسان في هذا المجال الذي يُعد قاعدة أساسية في صلاح جميع الأعمال .

فالعدل مع الله ﷻ أن توحده ولا تشرك به شيئاً ، وأن لا تتلبس بالظلم ، وهو الشرك ، وأن تقدر الله حق قدره ، فهذا أعظم العدل ، ويكون العدل مع الله ﷻ بعبادته وحده لا شريك له ، حيث إن الشرك من أعظم الظلم ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنَيْهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(١) قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله في تفسيره : (أي : هو أعظم الظلم)^(٢) . وحقيقة العدل مع الله تعالى : هو توحده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، وهذا ما ذكره ابن عباس ؓ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ قال : هو : (شهادة أن لا إله إلا الله)^(٣) .

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- (منزلة الإحسان هي لب الإيمان وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع جميع المنازل)^(٤) ، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- (والعدل خلع الأنداد والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه)^(٥) لذا فإن الله ﷻ أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل الدعوة إلى توحده وهذا أعظم العدل

(١) سورة لقمان ، الآية : (١٣) .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ٣٣٦/٦ .

(٣) مرجع سابق ، ٥٩٥/٤ .

(٤) مدارج السالكين ، ٤٢٩/٢ .

(٥) فتح الباري ، الحافظ ابن حجر العسقلاني ، ٤٨٠/١٠ .

مع الله ﷻ ، فدعوة الرسل جميعاً هي دعوة إلى التوحيد فكل نبي يقول لقومه ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾^(١) .

والدعوة إلى التوحيد هي دعوة إلى العدل مع الله تعالى، روى الشيخان - رحمهما الله - من حديث عبد الله ﷺ قال : لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٢) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا : أَيَّنَا لَمْ يَلْبَسْ إِيمَانَهُ بِظُلْمٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " إِنَّهُ لَيْسَ بِذَلِكَ إِلَّا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(٣) (٤)

مما سبق من آيات وأحاديث نستنتج بأن الدعوة إلى التوحيد هو في الحقيقة دعوة إلى العدل مع الله تعالى ، والنهي عن الظلم هو نهْي عن الشرك ، وبناءً على هذا فيجب على الدعاة أن يحرصوا ويجتهدوا في الدعوة إلى التوحيد وتعليم الناس العقيدة الصحيحة التي تُبنى عليها أمور الشريعة ولا تصح الأعمال إلا بمعتقد سليم صحيح خالٍ من الشرك والبدع .

والدعوة إلى التوحيد هو دعوة إلى أداء حق الله تعالى ، وأداء الحق هو عين العدل ؛ وقد ورد في حديث معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ " يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : أَنْ يَغْبُوهُ وَلَا

(١) سورة هود ، الآية (٨٤) .

(٢) سورة الأنعام ، جزء من الآية : (٨٢) .

(٣) سورة لقمان ، الآية : (١٣) .

(٤) صحيح الإمام البخاري - رحمه الله - كتاب الاستتابة المرتدين، باب : إثم من اشرك بالله، برقم/ ٦٩١٨ ، ١٣/٩ ، ورواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب صدق الإيمان وإخلاصه ، برقم/ ١٢٤ ، ١١٤/١ .

يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟»، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ" (١)

ومن حق الله ﷻ الدعوة إلى الإيمان والاعتقاد بأسمائه وصفاته الحسنی كما سمي بها نفسه ، ووصفه بها نبيه ﷺ من غير تحريف أو تعطيل أو تمثيل أو تكيف ، والتضرع والدعاء بها ، كما قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۗ وَذُرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

قال العوفي عن ابن عباس في قوله تعالى (: وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال : إلحاد الملحدين : أن دعوا " اللات في أسماء الله. وقال ابن جريج ، عن مجاهد (: وذروا الذين يلحدون في أسمائه) قال : اشتقوا " اللات " من الله ، واشتقوا " العزى " من العزيز. وقال قتادة : يلحدون يشركون . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : الإلحاد : التكذيب . وأصل الإلحاد في كلام العرب : العدل عن القصد ، والميل والجور والانحراف ، ومنه اللحد في القبر ، لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر. (٣)

فالأمر بالدعاء في الآية الكريمة هو دعوة إلى تعظيم أسماء الله وصفاته، والدعاء والتضرع لله بها ، (وكان إلحادهم في أسماء الله ، أنهم عدلوا عما هي عليه ، فسموا بها آلهتهم وأوثانهم ، يقول تعالى مقرعا للمشركين في

(١) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب التوحيد ، باب ، ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى" برقم / ٧٣٧٣ ، ١١٤/٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٨٠) .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة الأعراف آية ١٨٠ ص ١٧٤

عبادتهم الأصنام والأنداد والأوثان ، واتخاذهم لها البيوت مضاهاة للكعبة التي بناها خليل الرحمن ، عليه الصلاة والسلام) : أفرايتم اللات (؟ وكانت " اللات " صخرة بيضاء منقوشة ، وعليها بيت بالطائف له أستار وسدنة ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف ، وهم ثقيف ومن تابعها ، يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش.

قال ابن جرير : وكانوا قد اشتقوا اسمها من اسم الله تعالى ، فقالوا : اللات ، يعنون مؤنثة منه ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا . وحكي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والربيع بن أنس : أنهم قرءوا " اللات " بتشديد التاء ، وفسروه بأنه كان رجلا يلت للحجيج في الجاهلية السوق ، فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه.

قال ابن جرير : وكذا العزى من العزيز. وكانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة ، وهي بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها ، كما قال أبو سفيان يوم أحد : لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم " : - قولوا : الله مولانا ، ولا مولى لكم " ^(١).

فالواجب الحرص على دعوة الناس إلى العدل في أسماء الله وصفاته ويكون ذلك بدعاء الله تعالى بها والتضرع وسؤال الحاجات بأسمائه وصفاته الحسنی. وكذلك الدعوة إلى تعظيم و تبجيل أسماء الله الحسنی وصفاته الغليا من غير تكيف أو تمثيل أو تشبيه أو تعطيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ^(٢)

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير سورة النجم آية ١٩ ص ٥٢٦

(٢) سورة الشورى ، جزء من الآية (١١) .

وفي مجال العبادات شرع الله الإحسان في أدائها وبينه الرسول ﷺ أعظم بيان ، وأبلغ عبارة ، وفي أجمل صورة كما ورد في حديث أبي هريرة ؓ عن الرجل الذي يسأل رسول الله ﷺ (.. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ) (١)

٢- الدعوة إلى العدل مع الرسول ﷺ

حق الرسول ﷺ هو من لوازم حق الله تعالى ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٢) فهذا أمر إلهي صريح بالطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾. (٣)

وحقيقة العدل مع رسول الله ﷺ هي : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع ؛ ومنها محبته واتباعه ، ونشر سنته ﷺ والدفاع عنه، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٤) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ (٤) فالشرط لا يتحقق إلا بفعل المشروط ، فمحبته الله تعالى لا تتحقق إلا باتباع الرسول ﷺ كما ورد في الآية الكريمة ، ثم أتبع الله ﷻ الآية بالأمر بطاعة الرسول ﷺ ؛

(١) رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب : إن الله

عنده علم الساعة ، برقم / ٤٧٧٧ ، ١١٥/٦ .

(٢) سورة الحشر ، الآية (٧) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

(٤) سورة آل عمران ، الآية (٣١) .

لما له من أهمية بالغة في إقامة شرع الله تعالى في أرضه ، فكل مسلم عليه الاهتمام بالسنة النبوية ، والإتباع والبعث عن الابتداع ، وعليه واجب الدعوة إلى العدل مع الرسول ﷺ ، فيدعو نفسه أولاً ثم أهل بيته وجيرانه وقرباته ومن حوله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

إن العدل مع الرسول ﷺ ليست شعارات ترفع ، ولا مدائح تُقال ، ولا موائد تقام ، بل في اتباعه ﷺ ونشر سنته والذود عنه .

ثانياً: مجال القضاء والحكم

أمر الله تعالى المؤمنين بطاعة لحاكم، والسمع والطاعة له بالمعروف، وعدم الخروج عليه ، والدعاء له لعموم الأدلة الواردة في ذلك ، وهذا من العدل في التعامل الحاكم .

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ^ط فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^١﴾

كما أوجب الشارع الحكيم على الحاكم أن يكون عادلاً كما سبق في الحديث " وإمام عادل" وما ذلك إلا للقيمة العليا التي يتميز بها العدل وتأثيره في النفس والأهل والمجتمع وحياة الناس؛ والمراد بالإمام العادل كما قال القاضي عياض -رحمه الله- : (كل من إليه نظر في شيء من أمور المسلمين من الولاية والحكام)^(٢)

لذا فالحاكم عليه أن يستعين بأهل الصلاح والعدل ، سواء كانت ولايته ولاية خاصة أو عامة؛ والشريعة الإسلامية دعت إلى ذلك، كما ذكر ذلك شيخ

(١) سورة النساء ، الآية (٥٩) .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، تحقيق: يحيى إسماعيل ، ٣ / ٥٦٢ .

الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- بعد ذكره عموم الولايات وخصوصها، كولاية القضاء، وولاية الحرب، والحسبة، وولاية المال ، فقال: (وجميع هذه الولايات هي في الأصل ولاية شرعية ومناصب دينية، فأَيُّ مَنْ عدل في ولاية من هذه الولايات فساسها بعلم وعدل، وأطاع الله ورسوله بحسب الإمكان فهو من الأبرار الصالحين، وأَيُّ مَنْ ظلم وعمل فيها بجهل، فهو من الفجار الظالمين)(^١)

وقال أيضاً مؤكداً على الاستعانة بأهل الصدق والعدل : (يجب على كلِّ ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، وإذا تعدَّر ذلك استعان بالأمثل فالأمثل) (^٢) .

فالعدل بين الناس واجب شرعي ، والدعوة إليه مطلب حتمي لكل الناس ، فكل من له سلطة سواء كان قاضياً، أو صاحب منصب، أو مسؤولاً أيّاً كان حجم هذه المسؤولية ، فعليه واجب العدل، وإعطاء كلِّ ذي حقِّ حَقَّهُ، ليس هذا فقط بل أيضاً عليه الدعوة إلى العدل ؛ فيدعو من تحت يده إلى العدل بين الناس ، وعدم ظلمهم ، كما قال ﷺ: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ (^٣) ففي هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى ودعوة إلى العدل بين الناس .

وفي الحديث القدسي : عَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ قَالَ : " يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا

(^١) مجموع الفتاوى ، ٦٨/٢٨ .

(^٢) مرجع سابق ، ٦٧/٢٨ .

(^٣) سورة النساء ، الآية (٥٨) .

فَلَا تَظَالَمُوا ... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوفِّكُمْ بِهَا فَمَنْ
 وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ^(١)
 وفي هذا الحديث القدسي نهي عن الظلم ؛ فالله ﷻ حرم الظلم على نفسه
 ونفاه نفياً مطلقاً كما قال تعالى : ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾^(٢) وقوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ^ط وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا
 عَظِيمًا ﴾^(٣) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾^(٤)

والمتأمل في التأريخ يجد بأن العدل له شأنٌ لدى العلماء ، حيث جعل
 أساساً للملك والحكم والسياسة ، وقد ذكر ابن خلدون -رحمه الله- بأن
 العدل أساس الملك؛ ولا سبيل لعمارة الأرض إلا بالعدل ، وبه قوام العالم ، وما
 ذلك إلا لأهمية العدل وتأثيره على الفرد والمجتمع وحياة الناس، وله قيمة في
 منهج الحكام ، وفي إدارة الدول وقضاء مصالح الناس وهذا هو جوهر
 السياسة .^(٥)

كما اهتمت الشريعة الإسلامية بجانب القضاء ، وأعطت القاضي منزلة رفيعة ،
 وأجر عظيم إن تحرى العدل وقضى به ، وقد اشترط الفقهاء شروطاً لتعيين
 القضاة ، وصفات محددة ، قال علي ﷺ (لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْقَاضِي قَاضِيًا
 حَتَّى تَكُونَ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ ؛ عَفِيفٌ ، حَلِيمٌ ، عَالِمٌ بِمَا كَانَ قَبْلَهُ ، يَسْتَشِيرُ ذَوِي

(١) رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب البر الصلة والآداب ، باب : تحريم

الظلم ، برقم / ٢٥٧٧ ، ٤ / ٤٦٧٤ .

(٢) سورة الكهف ، جزء من الآية (٤٩) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٤٠) .

(٤) سورة الإسراء ، جزء من الآية (٧١) .

(٥) انظر مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : خليل شحادة ، ٥١/١ .

الألباب، لَا يَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا. وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رضي الله عنه، قَالَ: يَنْبَغِي لِلْقَاضِي أَنْ تَجْتَمِعَ فِيهِ سَبْعُ خِلالٍ، إِنْ فَاتَتْهُ وَاحِدَةٌ كَانَتْ فِيهِ وَصْمَةً: الْعَقْلُ، وَالْفِقْهُ، وَالْوَرَعُ، وَالنِّزَاهَةُ، وَالصِّرَامَةُ، وَالْعِلْمُ بِالسُّنَنِ، وَالْحِكْمُ ^(١).

ورغم هذه المنزلة العظيمة للقضاء إلا أن فيه خطر كبير، وإثم عظيم لمن يحدد عنه ، فالناظر في سيرة السلف الصالح رضي الله عنه يجد أنهم يمتنعون عنه ، ويخافون من خطره .

ففي الحديث " الْقَضَاءُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ، فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ " ^(٢) .
وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ أَحَدٍ يَكُونُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، قَلَّتْ أَمْ كَثُرَتْ ، فَلَا يَعْدِلُ فِيهِمْ ، إِلَّا كَبَّهَ اللَّهُ فِي النَّارِ " ^(٣)

فهذه النصوص فيها تحذير ووعيد شديد لمن يحدد عن العدل ، ويظلم الناس ، وترغيب لمن يعدل ويتحرى العدل ، وجاءت الشريعة في الدعوة إلى العدل في القضاء بين الناس ، وإعطاء كل ذي حق حقه والتحذير من الظلم وما يترتب عليه من الوعيد الشديد .

(١) المغني ، ابن قدامة - رحمه الله - ٤٠/١٠ .

(٢) رواه الإمام أبو داود في سننه ، كتاب الأقضية ، باب في القاضي يخطئ ، برقم ٣/٣٥٧٣، ٢٩٩ ، قال الحاكم في المستدرک : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهد بإسناد صحيح على شرط مسلم ، ١٠١/٤ ، وصححه الألباني في صحيح وظيف سنن أبي داود ، ص ٢ .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ١٠٢/٤ .

ثالثاً: مجال الدعوة إلى العدل والإحسان مع غير المسلمين:
 أمر الله ﷻ المؤمنين بأن يعدلوا حتى مع المخالفين في العقيدة مهما بلغ الكره غايته، كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ۗ ءَعَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

فمهما أبغض المؤمن الكافر فيلزمه أن يتجرد من هواه، وأن يعدل معه ولا يلتفت إلى هذا البغض، ويلتزم بقوله تعالى: ﴿ءَعَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ وفي السنة النبوية نماذج من عدل الرسول ﷺ مع غير المسلمين من اليهود وغيرهم، ففي الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود ؓ قال: قال رسول الله ﷺ " مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ وَهُوَ فِيهَا فَاجِرٌ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ ، قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ : فِيَّ وَاللَّهِ كَانَ ذَلِكَ، كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِّنَ الْيَهُودِ أَرْضٌ فَجَحَدَنِي، فَقَدَّمْتُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ لَكَ بَيِّنَةٌ؟ قُلْتُ: لَا. فَقَالَ لِلْيَهُودِيِّ اخْلِفْ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا يَخْلِفَ وَيَذْهَبَ بِمَالِي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (٢)، فهنا يتجلى عدل الرسول ﷺ فأحدهما مسلم والآخر يهودي، وبالرغم من كذب اليهود، وأنهم لا يتورعون عن الكذب، بل كذبوا على الله

(١) سورة المائدة، الآية (٨).

(٢) رواه الإمام البخاري-رحمه الله-في صحيحه، كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض، برقم / ٢٤١٦، ١٢١/٣، والإمام مسلم-رحمه الله-في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، برقم / ١٣٨، ١٢٢/١.

ﷺ كما أخبر الله تعالى بهذا في قوله ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي

الْأَمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

وفي نموذج آخر من عدل الرسول ﷺ ما رواه الإمام البخاري -رحمه الله- من حديث سهل بن أبي حنمة رضي الله عنه أَنَّ نَفَرًا مِنْ قَوْمِهِ انْطَلَقُوا إِلَى خَيْبَرَ، فَتَفَرَّقُوا فِيهَا، وَوَجَدُوا أَحَدَهُمْ قَتِيلًا، وَقَالُوا لِلَّذِي وَجَدَ فِيهِمْ: قَدْ قَتَلْتُمْ صَاحِبَنَا. قَالُوا: مَا قَتَلْنَا وَلَا عَلِمْنَا قَاتِلًا. فَانْطَلَقُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، انْطَلَقْنَا إِلَى خَيْبَرَ فَوَجَدْنَا أَحَدًا قَتِيلًا. فَقَالَ: الْكَبِيرُ الْكَبِيرُ، فَقَالَ لَهُمْ: تَأْتُونَ بِالْبَيِّنَةِ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ؟ قَالُوا: مَا لَنَا بَيِّنَةٌ قَالَ: فَيُخْلَفُونَ. قَالُوا: لَا نَرْضَى بِأَيْمَانِ الْيَهُودِ. فَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُبْطِلَ دَمَهُ، فَوَدَاهُ مِائَةٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ " (٢)

في هذا الحديث الشريف تتجلى عدالة الرسول ﷺ في الحكم؛ عندما أتى نفر من المسلمين يتهمون اليهود بقتل صاحبهم حيث وجدوه مقتولاً في خيبر ولم يكن لديهم بيينة ، فأنكر اليهود ، وأمر الرسول ﷺ بأن يحلفوا ، فاعترض المسلمون لعلمهم بكذب اليهود؛ وأنهم لا يتورعون عن الحلف الكذب ، فلم يحكم الرسول ﷺ عليهم لعدم وجود الدليل والبيينة التي تدينهم ، ودفع ديته الرسول ﷺ ليرضى المسلمون ، ويأمن من مكر وتعدي اليهود عليهم .

(والعدل لا يقتصر على المسلمين ؛ بل يشمل كافة من خلق الله من عباده المسلمين وغيرهم ؛ لأن العدل شامل وكامل لا يتجزأ بل يجمع البشر كافة مسلمهم وكافرهم من أي جنس ولون، فالجميع أبناء آدم عليه السلام). (٣)

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية (٧٥) .

(٢) صحيح الإمام البخاري -رحمه الله- كتاب الديات ، باب القسامة ، برقم / ٦٨٩٨ ،

. ٩/٩

(٣) نظم الأمن والعدالة في الإسلام ، د. محمد الحسيني عبد العزيز ، ص ١٢٣ ، وأنظر

الإسلام عقيدة وشرعية ، الإمام محمود شلتوت دار الشروق ، ط ١٨ ، ص ١٤٢١ ، ص ٤٤٩

فلا بد من التأكيد والدعوة إلى العدل مع غير المسلمين ، وأداء مالهم من حقوق ، وعدم بخسهم .

وقد حرص الصحابة رضي الله عنهم على التزام العدل مع غيرهم كما ورد " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَبْعَثُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ إِلَى خَيْبَرَ فَيَخْرُصُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَهُودَ قَالَ : فَجَمَعُوا خُلِيًّا مِنْ خُلِيِّ نِسَائِهِمْ فَقَالُوا : هَذَا لَكَ وَخَفَّفْنَا وَتَجَاوَزْنَا فِي الْقَسَمِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : " يَا مَعْشَرَ يَهُودَ وَاللَّهِ إِنَّا لَمِنْ أَبْغَضِ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيَّ وَمَا ذَلِكَ بِحَامِلِي عَلَى أَنْ أَحِيفَ عَلَيْكُمْ وَأَمَّا الَّذِي عَرَضْتُمْ عَلَيَّ مِنَ الرَّشْوَةِ فَإِنَّهَا سُحْتٌ وَإِنَّا لَا نَأْكُلُهَا قَالُوا : بِهِذَا قَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ) . (١)

رابعاً : مجال الدعوة إلى العدل والإحسان في الحرب والقتال :

أمر الله تعالى ودعا إلى العدل والقسط عند الصلح بين الطوائف التي تتقاتل من المؤمنين ، فقال تعالى: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ^ط فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقْتُلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ^ع فَإِنْ فَأَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (٢)

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله-: يقول تعالى أمرا بالإصلاح بين المسلمين الباغين بعضهم على بعض : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ، فسامهم مؤمنين مع الاقتتال . وبهذا استدلل البخاري وغيره على أنه

(١) رواه الإمام أبو داود في سننه ، كتاب البيوع ، باب في المساقاة ، برقم /٣٤١٠ ، ٢٦٣/٣ . والإمام مالك في الموطأ ، كتاب المساقاة ، باب ما جاء في المساقاة ، ٢٥٩٥ / ١٦/٤ . قال الألباني : إسناده صحيح ، انظر : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، ص ٢٦٤ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية (٩) .

لا يخرج من الإيمان بالمعصية وإن عظمت ، لا كما يقوله الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم . وهكذا ثبت في صحيح البخاري من حديث الحسن ، عن أبي بكرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب يوماً ومعه على المنبر الحسن بن علي ، فجعل ينظر إليه مرة وإلى الناس أخرى ويقول : " إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين . " فكان كما قال ، صلوات الله وسلامه عليه ، أصلح الله به بين أهل الشام وأهل العراق ، بعد الحروب الطويلة والواقعات المهولة .

وقوله : (فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) أي : حتى ترجع إلى أمر الله وتسمع للحق وتطيعه ، كما ثبت في الصحيح عن أنس : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً " . قلت : يا رسول الله ، هذا نصرته مظلوماً فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : " تمنعه من الظلم ، فذاك نصرته إياه " .

وقوله : (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) أي : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض ، بالقسط ، وهو العدل ، (إن الله يحب المقسطين) ورواه النسائي عن محمد بن المثني ، عن عبد الأعلى ، به . وهذا إسناد جيد قوي ، رجاله على شرط الصحيح .

وحدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن عمرو بن أوس ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور على يمين العرش ، الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا " . ورواه مسلم والنسائي ، من حديث سفيان بن عيينة ، به . (أي : اعدلوا بينهم فيما كان أصاب بعضهم لبعض بالقسط وهو العدل ، إن الله يحب المقسطين) (١)

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٣٥٠/٧ .

والدعوة إلى العدل في الصلح بين الطوائف المتقاتلة مما أوجبه الشريعة الإسلامية ، كما في قوله تعالى ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾؛ من أجل حقن الدماء ، ولتعيش الأمم بسلام وأمان تحت مظلة العدالة .

خامسًا : الدعوة إلى العدل والإحسان في المجال الاجتماعي :

النظام الاجتماعي في الإسلام، نظام ارتكز على تشريع سماوي ، وهذا التشريع قائم على العدل والإحسان ، فالإسلام دين العدالة ودين إحسان وسلام في جميع مناحي الحياة الخاصة والعامة .

وقد أمر الله تعالى بالعدل مع النفس والوالدين وبين الأهل والأقارب، ومع الزوجة ومع الأولاد في قوله تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُؤُونًا قَوَّامِينَ

بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا هَوَىَٰ أَن تَعْدِلُوا ۗ وَإِن تَلَوْدًا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(١)

ففي الآية الكريمة يدعو ويأمر الله تعالى المؤمنين بالعدل مع النفس ومع الوالدين والأقربين ، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- : (يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط ، أي بالعدل ، فلا يعدلوا عنه يمينًا ولا شمالًا ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ولا يصرفهم عنه صارف ، وأن يكونوا متعاونين متساعدين، متعاضدين ،متناصرين فيه وقوله ﴿ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ أي : ليكن أداؤها ابتغاء وجه الله ، فحينئذ تكون صحيحة عادلة حقًا ، خالية

(١) سورة النساء ، الآية (١٣٥) .

من التحريف والتبديل والكتمان (١) وقد بينت هذه الآية الكريمة بأن الدعوة إلى العدل تكون بعدة أمور وهي :

١/ الدعوة إلى العدل والإحسان مع النفس

وبعد أن أمر الله تعالى المؤمنين بإقامة العدل أعقبه بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ

عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- : (أي : اشهد الحق

ولو عاد ضررها عليك، وإذا سئلت عن الأمر فقل الحق فيه ، وإن كان مضرة عليك ، فإن الله سيجعل لمن أطاعه فرجًا ومخرجًا من كل أمر يضيق عليه). (٢)

وقد نهى الله تعالى أن يظلم الإنسان نفسه ، وظلم النفس إنما هو نتيجة لتعدي لحدود الله ﷻ كما قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ

نَفْسَهُ ﴾ (٣)

ومما سبق من الآيات يتضح دعوة القرآن إلى العدل مع النفس وتهذيبها، ومنعها من التعدي على حدود الله ، وهذه الدعوة فيها إحسان وتزكية لنفس المؤمن وتطهيرها من كل ما يندسها .

٢- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الوالدين والأقربين

أمر الله تعالى المؤمنين بالعدل والإحسان مع الوالدين والأقربين ، بالإحسان إليهما، وطاعتهما بالمعروف وخفض الجناح لهما ، ولين الكلام معهما ،

(١) تفسير القرآن العظيم ، ٣٨٣/٢ .

(٢) مرجع سابق ، ٣٨٣/٢ .

(٣) سورة الطلاق ، جزء من الآية (١) .

والنفقة عليهما ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا
فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَهَرَّبْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾
وَآخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٣٢﴾ (١).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : " قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ
أَحَقُّ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ أُمَّكَ ، قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ ؟
قَالَ أُمَّكَ ، قَالَ ثُمَّ مَنْ قَالَ أَبُوكَ " (٢)

وكذلك العدل مع الأقارب يكون بصلتهم والسؤال عنهم ، ومساعدة المحتاج
منهم ، وتهنئتهم بأفراحهم ، وتعزيتهم بمصائبهم وهكذا ، وقد أمر الله تعالى
ودعا الناس إلى الإحسان إلى الأقارب وذوي الأرحام وقرنها بالعدل كما في
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۗ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴾ (٣) ، فالدعوة إلى العدل مع الأقارب لا تقتصر فقط على

(١) سورة الإسراء ، الآيات (٢٣-٢٤) .

(٢) رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب : من أحق الناس
بحسن الصحبة ، برقم / ٥٩٧١ ، ٢/٨

(٣) سورة النحل ، الآية (٩٠) .

مساعدتهم وصلتهم فقط ، بل أيضاً دعوتهم إلى الله والتناصح معهم فهذا حق من حقوقهم .

ومن الأصناف التي وردت في الآية بضرورة العدل معهم الأغنياء و الفقراء ، كما قال تعالى: ﴿ إِنْ يَكُ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ ،

هذه ما تضمنته الآية الكريمة من أصناف ، وهناك نصوص من السنة تحت على العدل مع أصناف آخرين مثل :

٣- الدعوة إلى العدل بين الأولاد والإحسان إليهم :

أنت الشريعة الإسلامية بما يحقق إشاعة المحبة والوفاق بين أفراد الأسرة ؛ فلا يُفضل أحد من أفراد الأسرة دون الآخر، كما قال ﷺ " فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم " (١) ، فهذا الحديث الشريف فيه دعوة إلى العدل بين الأولاد ؛ ويكون العدل بينهم في العطية ، والهبة، والوقف، والتسوية بينهم حتى في القُبل، فعن إبراهيم النخعي-رحمه الله- قال: (كانوا يستحبون أن يعدل الرجل بين ولده حتى في القُبل). (٢)

ومن عظم العدل بين الأولاد فإن الرسول ﷺ أمر لمن أعطى ولده عطية دون سائر أولاده أن يرجعها، ففي الحديث عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ أَبَاهُ أَتَىٰ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ ﷺ " أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " ارْجِعْهُ " (٣) وفي رواية : "

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، من حديث النعمان بن بشير ﷺ كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها ، باب الإسهاد في الهبة، برقم/ ٢٥٨٧ ، ١٥٨/٣ .

(٢) المصنف لابن أبي شيبة ، تحقيق : محمد عوامة ، ج١٦/٢٠٢ .

(٣) رواه الإمام مسلم-رحمه الله- كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، برقم/ ١٦٢٣ ، ٢٤١/٣ .

لا تُشْهَدْنِي عَلَى جَوْرٍ " وفي هذا الحديث : أنه ينبغي أن يسوي بين أولاده في الهبة ، ويهب لكل واحد منهم مثل الآخر ولا يُفضل. ^(١)

ودعوة الرسول ﷺ الرجل إلى العدل بين أولاده ، وحرصه على ذلك ، والتغليظ على الرجل ورفض الشهادة ؛ كل ذلك من أجل إشاعة روح المحبة والألفة بين الأولاد ، وتزكية نفوسهم من الحقد والحسد والكرهية .

ومن خلال ما تقدم ؛ تبين لنا أهمية دعوة الآباء والأمهات إلى العدل بين أولادهم وفق ما جاءت به الشريعة السمحة .

٤- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الزوجة أو بين الزوجات:

العدل والإحسان مع الزوجة أمر أوجبه الشريعة ، ودعت إليه ، وذلك بأن يعامل الزوج زوجته بالعدل ؛ في النفقة وفي السكنى وفي المبيت ، وحذر من الميل إن كنَّ أكثر من واحدة ، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْمِيلِ إِنْ كُنَّ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدَةٍ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَيْتَنِي فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنًا وَثُلَاثًا وَرُبْعًا ۗ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ^(٢) .

أما إذا كان له ميل قلبي فقط إلى إحداهن ، فهذا لا يدخل في عدم العدل ، قال تعالى: ﴿ وَلَنْ نَسْتَطِيعُوا أَنْ نَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۗ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ۗ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(٣) .

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض

الأولاد في الهبة ، ٦٦/١١ .

(٢) سورة النساء الآية (٣) .

(٣) سورة النساء ، الآية (١٢٩) .

قال ابن بطلال-رحمه الله- في قوله: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ
النِّسَاءِ﴾ أي: لن تطيقوا أيها الرجال أن تسوا بين نساءكم في حبهن بقلوبكم
حتى تعدلوا بينهن في ذلك؛ لأن ذلك مما لا تملكونه ولو حرصتم يعني ولو
حرصتم في تسويتكم بينهن في ذلك. قال ابن عباس ؓ: لا تستطيع أن تعدل
بالشهوة فيما بينهن ولو حرصت. قال ابن المنذر: ودلت هذه الآية أن التسوية
بينهن في المحبة غير واجبة (١).

وفي حديث أم المؤمنين عائشة ؓ قالت: " كان النبي ﷺ يقسم بين نساءه
فيعدل ويقول: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ " (٢)
ومن هنا يتضح بأن دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى العدل بين
الزوجات إنما في الأمور التي يستطيع أن يعدل بها الرجل مثل النفقة والأمور
المادية، وهذا من يسر الإسلام في رفع الحرج عن المسلم؛ إذ لم يكلف بأمر
لا طاقة له به، فالقلب لا يملكه صاحبه، والحُب لا يستطيع أن يتحكم به
صاحبه، وهو مما لا يطيقه المرء، فدل ذلك على عدم المؤاخذة عليه كما قال
تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٣) وقوله ﷺ ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا
لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ (٤)

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣٣٦/٧.

(٢) رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء، برقم ٢١٣٤، ٢٤٢/٢،
والترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر، برقم ١١٤٠،
٤٣٨/٣، قال المنذري: رواه ابن حبان في صحيحه وقال الترمذي روي مرسلًا وهو أصح،
انظر: الترغيب والترهيب، ٤٠/٣.

(٣) سورة البقرة، جزء من الآية (٢٨٦).

(٤) سورة البقرة، جزء من الآية (٢٨٦).

كما أتت السنة النبوية بالتحذير من الظلم وعدم العدل بين الزوجات ، وقد حذر الرسول ﷺ من الميل إلى إحدى الزوجات وإعطائها دون الأخرى فيما يقدر عليه ، ففي الحديث الذي رواه أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : " مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقِيهِ سَاقِطٌ " (١) فالجزاء من جنس العمل ، فعندما يميل الرجل إلى إحدى زوجاته في النفقة ، أو القسمة في الليالي ؛ فإن الله ﷻ يعاقبه بأن يأتي يوم القيامة وشقه مائل ، وهذه عقوبة عظيمة ، فيجب على الزوج أن يعدل بين زوجاته ، ويدعو غيره إلى العدل بين الزوجات ، كذلك الزوجة عليها واجب دعوة زوجها إلى العدل إذا أعطاها أو قسم لها دون غيرها من زوجاته ، وأن لا ترضى بهذا ، وأن تدعوه أيضاً إلى العدل معها في حال ظلمها ولم يقسم لها مثل باقي زوجاته؛ لتستقيم الأسرة ، وتنشأ بينهم المودة والرحمة .

٥- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الخدم : دعا الإسلام إلى العدل مع الخدم ، وعدم ظلمهم ويخس حقوقهم ، وإعطائهم أجورهم بدون مماطلة ، والإحسان إليهم ، فقد وصى الرسول ﷺ بهم ، حيث ورد في الحديث من رواية أبي ذر ؓ "إِخْوَانُكُمْ خَوْلَانُكُمْ" (٢) ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ ، وَيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ " (٣)

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ، ١٠٧/١٦ ، قال ابن الملتن : حديث صحيح ، انظر : البدر المنير في تخريج الأحاديث ، ٣٧/٨ .

(٢) خولكم : هم الخدم ، سموا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أي : يصلحونها . انظر : فتح الباري للحافظ ابن حجر - رحمه الله - ، ٢٠٧/٥ .

(٣) متفق عليه ، رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه ، كتاب العتق ، باب قول النبي ﷺ العبيد إخوانكم فأطعموهم مما تأكلون ، برقم/ ٢٥٤٥ ، ١٤٩/٣ ، والإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل برقم / ١٦٦١ ،

في الحديث توجيهه نبوي كريم يتضمن الرأفة والرحمة والإحسان والعدل مع الخدم ، فليطعمه مما يأكل ولا يُعطه طعام رديء ، وكذلك يلبسه مما يلبس من الثياب الجيدة .

والدعوة إلى العدل مع الخدم أمر ضروري في هذا الزمن وفي كل زمن ، حيث وجد من يبخس حقوقهم ، ولم يعطهم أجورهم ، ففي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : " قَالَ اللَّهُ : ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ عَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ " ^(١) والخدام بمثابة أجير ، ومن يكن الله خصمه يوم القيامة فقد خاب وخسر ، وهذه دعوة إلى العدل مع الخدم بإعطائهم أجورهم ، وعدم بخسها ، أو المماطلة بتسليمها ، ومن العدل مع الخدم كذلك عدم التكبر عليهم وعدم احتقارهم ، وعدم التعدي عليهم بالضرب ، أو التعذيب فقد اضطرتهم الحياة ، فتركوا أهلهم وأبناءهم وذهبوا للعمل ، فلا بد من رحمتهم والتلطف معهم .

وكذلك من العدل مع الخدم دعوتهم إلى الإسلام إن كانوا لا يدينون به ؛ والدعوة تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتكون بالقدوة الصالحة ، والمعاملة الحسنة .

٦- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الجار

حث الإسلام على حسن الجوار ، وأمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار فقال تعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ

(١) رواه الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه، كتاب الإجارة ، باب إثم من منع أجر

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿١﴾
 كما ورد في الحديث الوصاية في الجار ، فعن أم المؤمنين عائشة ؓ عن
 النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ " (٢)
 وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ
 جَارَهُ بِوَأَقَّةٍ " (٣)

وغيرها من الأحاديث الكثيرة (ولقد جاءت السنة النبوية المطهرة ببيان هذه
 الحقوق بياناً شافياً ، وبتفصيلها تفصيلاً وافياً ، مما حدا كثيراً من العلماء
 والمحدثين أن يضمنوا حق الجار في أبواب الأدب ، أو أبواب البر والصلة ، بل
 أوردوه في شعب الإيمان ، بل أفردوه في مصنفات) (٤) وهذا من عظم حق
 الجار .

وتكون الدعوة إلى العدل مع الجار بالحث على عيادته عند مرضه ، ومواساته
 ، وتلبية دعوته ، ورد الغيبة عنه ، وإقراضه للمال عند حاجته ، وإن كان غير
 مسلم فالعدل معه دعوته إلى الإسلام ، والحرص على هدايته ، وحسن التعامل
 معه ، والصبر على أذاه ، إلى غير ذلك من الأعمال الحسنة تجاه الجار .
 (واعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط ، بل احتمال الأذى والرفق ،
 وابتداء الخير ، وأن يبدأ جاره بالسلام ، ولا يطيل معه الكلام ، ويعوده في

(١) سورة النساء ، الآية (٣٦) .

(٢) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- ، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار ، برقم ٥٦٦٨ ،
 .٤٥٥/١٠ .

(٣) رواه الإمام مسلم -رحمه الله ، كتاب الإيمان ، باب بيان تحريم إيذاء الجار ، برقم ٧٣/
 .٦٨/١ ،

(٤) حقوق الجار في صحيح السنة والآثار ، علي حسن عبد الحميد، ص ٦ .

المرض ، ويعزيه في المصيبة ، وأن يصفح عن زلاته ، ولا يطلع إلى داره (١).

٧- الدعوة إلى العدل والإحسان مع الأيتام :

وهذا الصنف خصه الله تعالى بالعناية والرعاية وحذر من ظلمه ، وأوجب العدل معه بإعطائه حقه والإحسان إليه ، وعدم القرب من ماله ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ ﴾ (٣) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ وَبَسَّأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَارْحَمُونَهُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۚ ﴾ (٥) كل هذه الآيات تحت على العدل والإحسان إلى اليتيم بحفظ ماله ، وإصلاحه ، وكذلك دعوة الناس وتذكيرهم بالإحسان إلى الأيتام وإصلاح أموالهم وتنميتها والمحافظة عليها .

سادساً: الدعوة إلى العدل والإحسان في المجال الاقتصادي

اهتمت الشريعة الإسلامية اهتماماً بالغاً بالمال الذي يعد قوام الاقتصاد ، وشرعت أنظمة مالية عادلة لتقنين التعاملات التجارية والاقتصادية ، كما

(١) تهذيب مختصر منهج القاصدين للإمام ابن قدامة المقدسي ، اختصره ورتبه ، محمد

صالح الغرسي ، ص ٦٣ .

(٢) سورة الأنعام ، جزء من الآية (١٥٢) .

(٣) سورة النساء ، جزء من الآية (١٢٩) .

(٤) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٥) سورة البقرة ، الآية (٢٢٠) .

اهتمت الحكومات بهذا الجانب وأنشأت المؤسسات الرقابية المالية ، ووضعت المواصفات والمقاييس لضمان الجودة ، وكلفت المراقبين لمنع الغش في الأسواق والتأكد من الالتزام بالأنظمة ، كما سنت العقوبات للمخالفين ، كل هذا من أجل إقامة العدالة والحفاظ على المجتمع .

ومما يؤكد أهمية الدعوة إلى العدل في هذا المجال ماورد في نصوص الوحيين من الأمر بالقسط في الكيل والميزان والنهي عن التطفيف والغش والتدليس .
ومن الآيات الدالة على الدعوة إلى العدل في الكيل والميزان:

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾^(١) قال الإمام القرطبي - رحمه الله- (لا تبخسوا الناس الكيل إذا كلتموهم ، والوزن إذا وزنتموهم ، ولكن أوفوهم حقوقهم ، وإيفاؤهم ذلك إعطاؤهم حقوقهم تامة ، بالقسط يعني بالعدل)^(٢)

كما أمر الله تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، كما توعد على تركه بالويل والعذاب في قوله تعالى: ﴿ وَيَلِّ الْمُطَفِّفِينَ ﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾^(٣) .

وفيما يتعلق بالإحسان في البيع والشراء فقد وجهنا رسول الله ﷺ إلى التسامح في البيع و الشراء ، والتعامل باللين والرفق ، فقد ورد في الحديث " رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى " ^(٤)

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٥٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ١٣٦/٧ .

(٣) سورة المطففين من الآية (١-٦)

(٤) رواه الإمام البخاري - رحمه الله- في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة

في الشراء والبيع ، برقم /٢٠٧٦ ، ٥٧/٣ .

فخلق الإحسان لا بد أن يكون حاضرًا في معاملاتنا المالية مع الآخرين ، ونحن أحوج ما نكون غليه في البيع والشراء .

سابقًا : مجال الدعوة إلى العدل والإحسان في القول عموماً :

فلا يقول إلا حقًا ، ولا يشهد إلا بالحق ، وأن يتخاطب مع الناس بالحسنى ، وقد أمر الله تعالى بهذا ، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ

وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۗ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِمِءِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى ﴿

وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (٣)

فالعدل والإحسان بالقول في كل أحواله ، فيحذر الظلم وشهادة الزور بقصد التشفي والكره وأخذ الثأر ، فالكذب والزور لإقصاء الآخرين ليس من دأب الصالحين ، بل من دأب الفساق وأهل اللؤم .

وهذا يبين الدقة وتحري العدل في القول والحكم عليه مهما كان القائل عدوًّا أو صديقًا ، كما ذكرنا في الآية السابقة قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ

قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ قال الحافظ ابن كثير -رحمه

الله- في تفسير الآية: (يأمر تعالى بالعدل في الفعال والمقال ، على القريب والبعيد ، والله تعالى يأمر بالعدل لكل أحد ، في كل وقت ، وفي كل حال) . (٤)

(١) سورة الأنعام ، جزء من الآية (١٥٢) .

(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية (٨٣) .

(٣) سورة الإسراء ، الآية (٥٣) .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ٣/ ٣٢٨ .

و ذكر الإمام القرطبي -رحمه الله- في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ﴾ بأن العدل يتضمن الأحكام والشهادات ، ولو كان الحق على مثل قراياتكم .^(١)

ثامناً : الدعوة إلى الإحسان مع الحيوان

حث الإسلام على الإحسان الشامل الذي يسع كل شيء، ومن ذلك الإحسان للحيوان ، فقد وردت أحاديث كثيرة في الإحسان إلى الحيوان منها ما رواه الإمام مسلم -رحمه الله- " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُجِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِخْ ذَبِيحَتَهُ " ، فإذا كان الإحسان يستلزم في حال الذبح ، فكيف بالأحياء ؟ وهذا من عظمة الإسلام الذي وسع كل شيء ، و هو دين الرحمة والإحسان .

كما أمر الرسول ﷺ أن تحد الشفرة عند الذبح لترتاح الذبيحة ، هذه هي أخلاق الإسلام حتى مع اضعف المخلوقات ، الرحمة والإحسان ، و جزاء من يحسن للحيوان مغفرة الذنوب كما ورد في الحديث السابق .

وقد نهى الإسلام عن التعدي وتعذيب الحيوان، بل وعقوبة من يتعدى عليه كما ورد في الحديث : عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : " دَخَلَتْ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تَطْعَمِهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَائِشِ الْأَرْضِ " ^(٢)

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، ١٣٧/٧ .

(٢) صحيح الإمام مسلم -رحمه الله- كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل، وتحديد الشفرة ، برقم / ١٩٥٥ ، ٥٤٨/٣ .

(٣) رواه الإمام البخاري -رحمه الله- في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب : خمس من الدواب فواسق ، برقم / ٣٣١٨ ، ١٣٠/٤ .

المبحث الثالث: ثمار الدعوة إلى العدل والإحسان

سأبين ثمار العدل و الإحسان من خلال المطالب التالية:

المطلب الأول : ثمار الدعوة إلى العدل

الدعوة إلى العدل من أجل الطاعات ، وأعظم القربات ، فيها طاعة واستجابة لله تعالى ورسوله ﷺ حيث أمر بالعدل في كل شأن من شؤون الحياة ، وهذه غاية كل مسلم رضا الله ورسوله ﷺ ، والسعي إلى حصول محبته ، كما قال تعالى ﴿ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴾^(١)

كما أن من ثمرات الدعوة إلى العدل المحافظة على الضروريات الخمس ، حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض ؛ فبالعدل يُحفظ الدين وتُحفظ النفس والعقل والمال والعرض ، فلا يستطيع أحد أن يعتدي على الآخرين لأنه يعلم أن شرع الله سيطبق عليه، وبذلك يعيش الناس بأمان وطمأنينة ، كما أن الدعوة إلى العدل والقيام به فيه ظهور عزة الإسلام وقوته وإنصافه للناس وبه يؤخذ للمظلوم من الظالم .

كما أن من ثمرات العدل والدعوة إليه بقاء الدول وثباتها واستمرارها ونصرها ، وإشاعة روح المحبة والسلام بين أفرادها ، وفيه ترغيب غير المسلمين بالدخول في الإسلام لما يرونه من عدالة الإسلام ، فالجميع سواء أمام أحكام الشريعة لا عنصرية ولا طائفية ولا قبائلية ؛ فينتشر الأمن في البلاد ويعيش الناس في سلام وأمان .

(١) سورة الحجرات ، جزء من الآية (٩) .

المطلب الثاني : ثمار الدعوة إلى الإحسان

من أعظم ثمار الإحسان محبة الله للمحسنين كما قال تعالى : ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(١) وكذلك رحمة الله تعالى تكون قريبة من المحسنين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) فعندما يأمر الله تعالى بأمر فإنه يصب في مصالح العباد ، فالإحسان مرده للمحسن وهو من يستفيد أولاً وآخراً ، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- : (فإنَّ الإحسان إذا باشر القلب منعه عن المعاصي، فإنَّ من عبد الله كأنَّه يراه، لم يكن كذلك إلا لاستيلاء ذكره ومحبتِّه وخوفه ورجائه على قلبه، بحيث يصير كأنَّه يشاهده، وذلك سيحول بينه وبين إرادة المعصية، فضلاً عن موافقتها، فإذا خرج من دائرة الإحسان، فاته صحبة رفقته الخاصة، وعيشهم الهنيء، ونعيمهم التَّام، فإن أراد الله به خيراً أقرَّه في دائرة عموم المؤمنين) ^(٣)

كما أن الإحسان إلى النَّاس سبب من أسباب انشراح الصدر، فلاشك أن الإحسان والبذل والتضحية نتيجته فرح داخلي يشعر به المحسن ، وينشراح صدره لما قام به من إحسان، وقد ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن الإحسان من أسباب انشراح الصدر، فقال: (الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا، وأطيبهم نفساً، وأنعمهم قلباً، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرا، وأنكدهم عيشاً، وأعظمهم همماً وغمماً) ^(٤)

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٩٥) .

(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية (٥٦) .

(٣) الجواب الكافي ، ص ٧١ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ط ٢٧ [مؤسسة

الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م] ٢٤/٢ .

الخاتمة :

الحمد لله رب العالمين ، هذا ما تيسر لي كتابته في هذا الموضوع المهم الذي غفل عنه الكثير ، وقد تحدثت عن أهمية الدعوة إلى العدل ، وحاجة البشرية إليه ، وما ورد في نصوص الوحيين من تأكيد للدعوة إلى العدل والأمر به ، والمجالات المختلفة التي يمارس فيها العدل ، وقد خلصت الدراسة إلى العديد من النتائج والتوصيات من أهمها :

أولاً : النتائج

-أتى الأمر صريحاً من الله ﷻ بالدعوة إلى العدل والإحسان ، وإعطاء الحقوق لأصحابها والإحسان إليهم بالقول والفعل .

-إن الحياة لا تستقيم إلا من خلال تحقيق العدل والإحسان بين أفراد المجتمعات والدعوة إليه ، وأن العدل والإحسان يدخلان في كل مجالات الحياة .

- حرص الإسلام على الأمر بالعدل والإحسان في كل شأن من شؤون الحياة .
 - في الدعوة إلى العدل والإحسان نشر للسلام والأمن في المجتمع .
 - العدل والإحسان يحقق للمجتمع والأفراد الاستقرار والأمن ، ويؤدي إلى التواصل، وعدم القطيعة ، ونشر المحبة والألفة بينهم ، لذا كان من الأهمية بمكان الدعوة إلى العدل والإحسان .

- العدل والإحسان طريقان إلى انشراح الصدر ، وطمأنينة النفس ، وأن المحسن يؤثر في المسيء ، بل ويغير حاله من عدو صديق كما قال تعالى :
 -يترتب على ترك الدعوة إلى العدل مفاصد عظيمة أهمها : انتشار الظلم ، والجهل في عواقبه ، وما يترتب عليه من مفاصد دينية ودنيوية منها :

١- الخيبة والخسارة لمن حمل الظلم ، كما قال تعالى: ﴿ وَعَنْتِ أُلُوجُهُ
لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۗ وَقَدْ حَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ (١)

٢- الوعيد الشديد لمن يأكل أموال الناس وخاصة اليتامى ظلماً كما قال
تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ
نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (٢)

٣- انتشار الظلم وأكل حقوق الآخرين .

٤- الحقد والحسد والتباغض والقطيعة بين أفراد الأسرة والمجتمع .

٥- التساهل في التعدي على حدود الله كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ
اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (٣)

٦- استجابة دعوة المظلوم فليس بينها وبين الله حجاب ، كما ورد في
الحديث الذي رواه الإمام البخاري -رحمه الله- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ : " اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا
لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ " (٤)

ثانياً : التوصيات

- أوصي بالحرص على الدعوة إلى العدل والإحسان في كل وسيلة وفي كل
مجال من مجالات الحياة ، وإرشاد الناس إلى ما يصلح أحوالهم ، وتستقيم بيه

(١) سورة طه ، الآية (١١١) .

(٢) سورة النساء ، الآية (١٠) .

(٣) سورة الطلاق ، الآية (١) .

(٤) صحيح الإمام البخاري -رحمه الله- كتاب المظالم والغصب ، باب : الاتقاء والحذر من

دعوة المظلوم ، برقم /٢٤٤٨ ، ١٢٩/٣ .

أمورهم ، فإن الله ﷻ أكد بنفسه بالأمر إلى العدل والإحسان في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ لما فيه من أهمية بالغة ، وآثار عظيمة في حياة الأمم

- ينبغي تحري العدل في الأحكام والقضاء خاصة ، والحذر من اتباع الهوى ، وتغليب المصالح الخاصة .

- الحذر من الظلم فإن عواقبه وخيمة على الأفراد والجماعات .

- إنشاء مبادرات تطوعية للإحسان، وتشجيعها ، والتنافس في تقديم المعونات لا سيما في ظل الظروف التي تمر بها المجتمعات .

- أوصى الأسرة بتحري العدل والإحسان بين أفرادها ، والدعوة والتوجيه إليه ، وعدم تفضيل أحدهم على الآخر ؛ فهي اللبنة الأولى للمجتمع ، وصلاحها هو صلاح للمجتمع .

هذا وأسأل الله ﷻ أن أكون قد وفقت في عرض جانب من جوانب هاتين القيمتين العظيمتين (العدل والإحسان) وأن يوفقنا إلى الالتزام بالعدل والإحسان في كل مجالات الحياة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين ..

وصلى الله على نبينا محمدًا وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر و المراجع :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ط ٢ ، بيروت : دار الآفاق الجديدة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- (٣) الإسلام عقيدة وشريعة ، الإمام محمود شلتوت دار الشروق ، ط ١٨ ، ١٤٢١هـ .
- (٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، السبتي، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي ، تحقيق: يحي إسماعيل، ط ١ ، مصر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- (٥) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير ، ابن الملقن ، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وآخرون ، ط ١، الرياض : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م .
- (٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط ١، بيروت ، دار الكتب العلمية، ، ١٤١٩هـ .
- (٧) تهذيب مختصر منهج القاصدين ، ابن قدامة المقدسي ، اختصره ورتبه ، محمد صالح الغرسي ، ط ١ بيروت: مؤسسة الريان ، ١٤٢٢هـ .
- (٨) الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المنذري ، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط ١ ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٧هـ .

- (٩) التعريفات ، الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف ، تحقيق : محمد صديق المنشاوي ، د.ط ، د.م ، نشر دار الفضيلة، د.ت .
- (١٠) الجامع الصحيح المختصر ، الإمام البخاري ، محمد بن إسماعيل ، تحقيق: محمد زهير الناصر ، ط ١ د.م ، دار طوق النجاة ، ١٤٢٢ هـ .
- (١١) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيس، ط ٢ ، القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.
- (١٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، محمد بن جرير ، د.ط ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٥ هـ .
- (١٣) حقوق الجار في صحيح السنة والآثار ، حسن عبد الحميد ، ط ٢ ، بيروت: دار ابن حزم ، ١٤١٥ هـ
- (١٤) الجامع الصحيح ، الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط ٢ ، مصر :شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م .
- (١٥) سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن الأزدي السجستاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط ، بيروت: المكتبة العصرية، ، د.ت.
- (١٦) شرح صحيح البخاري ،ابن بطلال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ط ٢ ، الرياض: مكتبة الرشد ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .
- (١٧) شرح رياض الصالحين ، العثيمين ، محمد بن صالح بن محمد ، د.ط ، الرياض: دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ هـ.

- ١٨) صحيح الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- ١٩) صحيح مسلم بشرح النووي، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، ط ٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ.
- ٢٠) صحيح سنن أبي داود باختصار السند، الألباني، محمد ناصر الدين، لدول الخليج، ط ١، الرياض: مكتب التربية العربية، ١٤٠٩ هـ.
- ٢١) صحيح وضعيف سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني، د. ط، الإسكندرية: مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة، د. ت.
- ٢٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور، ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- ٢٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.
- ٢٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان وآخرون، ط ١، المدينة النبوية: مكتبة الغرياء الأثرية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- ٢٥) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران تحقيق: محمد إبراهيم سليم، د. ط، لقاهاة: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د. ت.

- (٢٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .
- (٢٧) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت .
- (٢٨) لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي الأنصاري الإفريقي، ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤ هـ .
- (٢٩) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢ هـ .
- (٣٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، د.م، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م .
- (٣١) المستدرک علی الصحیحین، الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
- (٣٢) المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان تحقيق: محمد عوامة، ط١، بيروت: دار قرطبة، ١٤٢٧ هـ .
- (٣٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ط٢، بيروت: دار إحياء التراث، ١٣٩٢ هـ .

- (٣٤) المجتبي من السنن، السنن الصغرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦ هـ.
- (٣٥) المعجم الوسيط، تأليف: مجمع اللغة العربية إبراهيم مصطفى وآخرون، د.ط القاهرة دار الدعوة، د.ت.
- (٣٦) المغني، ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي، د.ط، القاهرة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨ هـ.
- (٣٧) الموطأ، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، ط١، أبوظبي: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- (٣٨) معالم التنزيل، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، ط١، الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٦ هـ.
- (٣٩) مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: خليل شحادة، ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- (٤٠) نظم الأمن والعدالة في الإسلام، محمد الحسيني عبد العزيز، د.ط، القاهرة: دار غريب للنشر، د.ت.
- (٤١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط١، دمشق، بيروت، دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٥ هـ.